عيسى المسيح ـ عليه السلام ـ في القرآن الكريم

د. البهلول علي محمد منصور
كلية التربية ـ جامعة غريان ـ ليبيا
albahloul60@gmail.com
تاريخ التقديم: 2023/11/11 تاريخ القبول: 2024/01/30 تاريخ النشر: 2024/07/28

مقدمة

الحمد لله معلم الناس وهاديهم إلى صراط مستقيم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا مُحَمَّد المبعوث المبعوث رحمةً للناس كافة، وهاديهم سبيل الرَّشاد ومعلّمهم الدين، وبعد، فالمسيح عيسى ابن مريم – عليهما السلام – تعد إشكالية عقدية وتاريخية عند بني إسرائيل، وهي مثار خلاف بين بني إسرائيل؛ فمنهم من عَده تحقيقاً لنبوات العهد القديم، المبشرة ببعثة نبي يسود بني إسرائيل ويقودهم لإحياء مجدهم القديم، ورد في سفر المزامير، خطاب الله لنبيه داود – عليه السلام –: "قطعت عهدًا مع مختاري، حلفت لداوود عبدي، إلى الدهر أثبت نسلك، وإلى دَوْرٍ فدَوْرٍ كرسيك"، 89: 3،4، ومنهم من رفعه إلى مقام الألوهية، ومنهم من وصفه بالدعي المجدف وحرض عليه، ثم حكم بقتله.[1]

وصراع تلك الطوائف الثلاث سجلته الكتب التراثية للقوم، وأولها أسفار العهد الجديد، إلا أن خلاف القوم لم ينتهِ حول حقيقة شخصية هذا النبي المرسل إلى يوم الناس هذا، فمنهم من وصفه بالدجال، ومنهم من اعتقد حلول الله فيه، ومنهم من اعتقد أنه الإله الابن، ومنهم من اعتقد نبوته إلا أنه بالغ في بعض صفاته.

وعلى هذا وقع الاختيار على موضوع: " المسيح عيسى – عليه السلام – في القرآن الكريم"، يدرس الباحث فيه شخصية عيسى – عليه السلام – ودعوته، لما تمثله من إشكالية، فقد نزل القرآن – بعد ستة قرون من بعثة عيسى – عليه السلام – بالكلمة الفصل في حق هذا النبي الكريم.

والنظر في إشكالية البحث يثير تساؤلات أساسية هي: مَن هو المسيح عيسى؟، وما دعوته؟ وما الموقف منها؟، ويتجه قصد الباحث إلى الكشف عن حقيقة شخصية عيسى– عليه السلام – والتعرف إلى دعوته وأثرها، من خلال دراسة النصوص القرآنية التي تضمنت موضوع البحث.

لا تخفى أهمية هذا الموضوع؛ فحقيقة عيسى تهم المسلم بصفته مؤمناً بنبوته ناشداً للحق مُتَّبِعاً له،

[1] –ينظر: إنجيل متّى 26:63–68، 27:35، وينظر: إنجيل مرقس14:64، وينظر أيضاً: إنجيل لوقا 23:35–38.

كما تهم المسيحي بصفته مؤمناً بالمسيح عيسى – عليه السلام –، وتهم أيضاً كل دراس منصف ذي اختصاص في الموضوع، وكون الاختلاف مازال قائماً بين اليهود والمسيحيين، مع الأخذ في الاعتبار النشاط التبشيري المسيحي، الذي يستهدف الشباب المسلم، فهذا في رأيي يعد سبباً كافياً لإظهار حقيقة عيسى – عليه السلام – وبيان الرؤية القرآنية للموضوع.

وقد استوجبت الحكمة الإلهية دفع الأباطيل التي نسبها بنو إسرائيل وغيرهم لشخصه ولدعوته، وإنصاف عبدالله ورسوله عيسى بن مريم – عليهما السلام –، من تخرُّصات بني إسرائيل وبهتانهم، وبيان نبله وصبره على أذى الناس في سبيل إنجاز الرسالة التي كلفه الله بها، وبهذا حُسم الأمر، وظهر الحق لأصحاب العقول وأرباب البصائر، وكل ناشد للحق مستنير البصيرة.

تنصب الدراسة على النصوص القرآنية المتضمنة حقيقة عيسى – عليه السلام – من خلال استقرائها وعرضها، والتعقيب بتفسيرها، وبيان المفاهيم المرادة منها، وذلك بتوظيف المنهج الاستقرائي لتتبعها، والمنهج التحليلي لبيان بعض المفاهيم التفصيلية لقضايا الدراسة، مع الاستعانة بالمنهج الاستنباطي الاستنباطي لاستخلاص النتائج، والدراسة ليست استقصائية لجميع النصوص التي تضمنت ذكر نبي الله عيسى – عليه السلام –،[1] وإنما أكتفي بما يفي بالهدف من هذا البحث، وهو بيان حقيقته – عليه السلام–.

وللدراسة حدود موضوعية وهي شخصية عيسى – عليه السلام – ودعوته، وحدود زمانية حدها حياته التي استمرت حوالي 33سنة، وحياة والدته؛ أي الثلث الأخير من القرن الأول قبل الميلاد، والثلث الأول من القرن الميلادي الأول، مع التوطئة بتمهيد يبين البيئة التي عاشت فيها والدته وولد فيها.

وقد أطلع الباحث على مجموعة من الدراسات السابقة، وكانت ثلاثة مناحي: الأول: دراسات لمسيحيين نحت إلى شرح التصور المسيحي لشخص المسيح، والدفاع عنه، منها "مجموعة الشرع الكنسي أو قوانين الكنيسة الجامعة"، والثاني: هو محاولة دراسة شخصية المسيح دراسةً علمية تهدف لكشف حقيقتها، وتعبر عن هذا المنحى دراسة بعنوان:

[1] – جاء ذكر المسيح عيسى – عليه السلام – في القرآن وفق الآتي: سورة البقرة87، 253، سورة آل عمران45، 52، 55، 59، 84، سورة النساء: 157، 163، 171، 172، سورة المائدة17، 46، 72، 75، 78، 110، 112، 114، 116، سورةالأنعام85، سورة التوبة30، 31، سورة مريم 34، سورةلأحزاب7، سورة الشورى13، سورة الزخرف63، سورة الحديد27، سورة الصف6، 14.

"المسيحية وأساطير التجسد في الشرق الأدنى القديم اليونان سورية مصر"، والثالث: دراسات هدفت إلى إنصافه، ومنها دراسة بعنوان: "حياة المسيح"، لعباس العقاد،[1] ودراسة بعنوان: "المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام الحقيقة الكاملة" لعلي الصلابي،[2] ما تقدم يتيح للباحث دراسة المسيح – عليه السلام – من منظور قرآني، بصورة ملخصة غير مخلة، تتاح للمطّلع وتخدم المهتم ولافتة نظره إلى الدراسات المطولة في الموضوع.

والبحث يتضمن مقدمة وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة وفق البيان الآتي:

تمهيد: بنو إسرائيل قبل بعثة المسيح – عليه السلام – .

المبحث الأول: التعريف بالمسيح – عليه السلام – ودعوته.

المبحث الثاني: موقف بني إسرائيل من عيسى – عليه السلام – ودعوته.

المبحث الثالث: موقف المسلمين من الرسول عيسى – عليه السلام –.

خاتمة: تتضمن أهم نتائج البحث والتوصيات.

[1] – عباس محمود العقاد 1889م–1964م، مفكر وكاتب مصري. ينظر: عباس العقاد، محررو الموسوعة، ويكيبيديا، 8–7–2024م.

[2] – علي محمد الصلابي 1963م، كاتب وداعية إسلامي ليبي معاصر. ينظر: المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام الحقيقة الكاملة،ص425.

الكاملة،ص425.

تمهيد : بنو إسرائيل قبل بعثة المسيح ـ عليه السلام ـ

يرجع نسب بني إسرائيل إلى نبي‌الله يعقوب، وهو حفيد نبي‌الله إبراهيم من ولده إسحاق – عليهم السلام –، قال تعالى: ﴿ **أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾، (البقرة133)، وقال جل شأنه: ﴿**وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ**﴾، (الأنبياء72)، والمطّلع على تأريخ بني إسرائيل يلحظ كثرة الأنبياء فيهم؛ ولعل مرد ذلك إلى البيئة الوثنية التي عاش فيها القوم أغلب فتراتهم التاريخية، وتمردهم على الشرائع، وتنكبهم لما يحد من رغباتهم وأهوائهم.

ويمكن تقسيم تأريخ بني إسرائيل إلى مرحلتين. المرحلتان هما:

–" مرحلة الممالك القديمة، مملكة إسرائيل و مملكة يهودا،[1] حتى تدمير الهيكل الأول(في عام 587 ق.م).

–" مرحلة ازدواج المراكز ، فلسطين وبلاد ما بين النهرين، ابتداء من "العودة الأولى من بابل" (عام537 ق.م) وحتى حوالي العام 500 م. وقد تميزت هذه المرحلة بوجود هذين المجتمعين المتمتعين بالحكم الذاتي، والقائمين أساساً على الزراعة، واللذين فرضت عليهما قوة الإمبراطورية الفارسية وسلطانها، "الديانة اليهودية، كما شرحتها سابقاً، الدوائر الكهنوتية ودوائر الكَتَبَة".[2]

وقام الملك البابلي نبوخذ نصر بتهجير اليهود إلى بابل سنة 586 ق.م، وباحتلال الفرس لبابل أصبحت يهوذا ولاية فارسية، حتى 332 ق.م، لتنتقل لحكم الإسكندر المقدوني، ثم حكم الرومان سنة 63 ق.م، الذين قمعوا تمردهم بالعنف، لينتهي بهم المطاف في الشتات إثر الثورة التي قادها باركوكبا[3] ضد الرومان سنة 135م[4].

وفي ظل الحكم الذاتي قُمع أي خروج عن الأرثوذكسية الدينية[5]، ولا يُستثنى من ذلك إلا إذا

---

[1] – يهودا: اسم مملكة جاء ذكرها في التوراة كمملكة لجميع أسباط بني إسرائيل الإثني عشرة. .... ولا توجد دلائل تاريخية أو أثرية على وجود مملكة إسرائيل، ولكن هناك دلائل لوجود مملكتين منفصلتين لم تتوحدا، مملكة السامرة أو مملكة بيت عُمري أو إسرائيل في منطقة المرتفعات الشمالية لفلسطين التاريخية، ومملكة يهوذا في المرتفعات الجنوبية. يُنظر: قاموس الكتاب المقدس، ص1087.

[2] – يُنظر: الديانة اليهودية وتاريخ اليهود وطأة3000عام، ص95 ، 96 .

[3] – اسمه سمعان، سماه الرائي عقيبة معاصره (بار كوكبا)، تحقيقاً لنبوَّة بلعام بن بعور في سفر العدد: "ويبرز كوكب من يعقوب" (17:24)، واعتبره يهود عصره مسيَّاهم المنتظر. يُنظر: تاريخ إسرائيل من واقع نصوص التوراة والأسفار وكتب ما بين العهدين، ص340.

[4] – ينظر: بنو إسرائيل، محررو الموسوعة، 6-10-2023م، ويكيبيديا الموسوعة الحرة.

[5] – "أرثوذكس هي كلمة مشتقة جزؤها الأول من كلمة(أرثوذ) وأصلها في اللغة اليونانية وتعني: (" الصواب" أو "الصحيح" أو "قويم")

كان الخروج من الأرستقراطية الدينية نفسها؛ ومنه تأثرها بالفكر الإغريقي من عام 300 إلى166 ق.م، ق.م، أو الانقسام بين الفريسيين[1] و الصدّوقيين[2] الذي ظهر حوالي 140 ق.م، وقد دأب كل منهما على استخدام سلطان الحكم لفرض اجتهاداته على الآخر متى تأتى له ذلك.[3]

وأوغل بنو إسرائيل "في المادية وبعدوا عن الروحية، فأنكر فريق منهم القيامة والحشر، ومن ثَمَّ أنكروا الحساب والعقاب، فانغمس الكثيرون منهم في متاع الدنيا غير خائفين من عاقبة، ولا متوقعين حساباً، وفي كلمة واحدة لقد فسدت العقيدة وفسدت الأخلاق، ولم يكن بدّا من منقذ يحاول أن يردهم عن طغيانهم الذي كانوا فيه يعمهون".[4]

وقد عاش بنو إسرائيل ومن جاورهم من شعوب الدولة الرومانية في الشام في "دنيا آفتها مظاهر الترف ومظاهر العقيدة، ومن وراء ذلك باطن هواء وضمير خواء، فلا جرم يكون خلاصها في عقيدة لا تؤمن بشيء، كما تؤمن ببساطة الضمير، ولا تُعرض عن شيء كما تُعرض عن المظاهر، ولا تضيق بخلاف كما تضيق بالخلاف على النصوص والحروف ....".[5]

كان بنو إسرائيل ينتظرون نبيهم الموعود، والآخرون يعيشون حياة مأزومة يأملون الخلاص ويستشرفونه، وقد جاءت دعوة المسيح – عليه السلام – "في أوانها لم تتقدم ولم تتأخر، وكفى بذلك برهاناً على موقعها الصحيح من التاريخ، فقد كان بلاء الناس أنهم خربوا باطنهم وعمروا ظاهرهم، فجاءهم الرجاء الذي يصلح لذلك البلاء؛ بشارة لا تبالي أن يخرب ظاهر الدنيا كله إذا سلم للإنسان باطن الضمير".[6] وبُعث المسيح – عليه السلام – في بيئة يسود فيها الفكر الإغريقي وتسيطر عليها

=

وجزؤها الثاني من كلمة دوكسا (doxa) التي تعني(" الرأي" أو" الاعتقاد"، وترتبط بكلمة دوكين ومعناها "يُفكر")". ينظر: أرثوذكسية (مصطلح)، محررو الموسوعة، ويكيبيديا. 6-10-3023م. والأرثوذكسية اليهودية من أهم الطوائف اليهودية ، ولا علاقة لها بالأرثوذكسية المسيحية، ويراد مها الطائفة المتمسكة بالقوالب القديمة أو الأصلية للدين. ينظر: يهودية أرثوذكسية، محررو الموسوعة، ويكيبيديا، 6-10-2023م.

1 – الفريسيون: أحد الأحزاب السياسية الدينية التي برزت خلال القرن الأول في المجتمع اليهودي بفلسطين، يعود أصل المصطلح إلى اللغة الآرامية ويفيد الابتعاد والاعتزال عن الخاطئين؛ وكان مذهبهم يتسم بالتشدد في الحفاظ على شريعة موسى والسنن الشفهية التي استنبطوها. . يُنظر: قاموس الكتاب المقدس ، ص674، 675.رثو

2 – الصدّيقيون: أحد الأحزاب السياسية الدينية، وترجع تسميتهم في الغالب إلى صادوق، الذي جعله سليمان رئيس الكهنة، وهم لا يعترفون إلا بأسفار التوراة الخمسة، وكانوا طبقة كهنوتية مرتبطة بالهيكل، وانتهت هذه الفرقة سنة 70م بهدم الهيكل. ينظر: قاموس الكتاب المقدس، ص539، 540.

3 – ينظر: الديانة اليهودية وتاريخ اليهود وطأة3000عام.ص96.

4 – ينظر: بين الديانات والحضارات، ص28. نقلاً عن : أحمد شلبي، المسيحية، ص64.

5 – ينظر: حياة المسيح، ص87.

6 – ينظر: المرجع نفسه. ص88.

الدولة الرومانية، وتنتشر فيها الديانة اليهودية، التي جاء – عليه السلام – لإحياء ما اندثر منها.[1]

[1] – ينظر: المسيح عيسى ابن مريم –عليه السلام – الحقيقة الكاملة، ص29.

المبحث الأول: التعريف بالمسيح ـ عليه السلام ـ ودعوته

تَبْدَأ قصة مريم- عليها السلام - في القرآن عند ذكر أُمها، وهي امرأة النبي عمران، واسمها ، ولم يرزقا ولداً، وكانت "حنَّة" تحنّ إلى الأولاد، فتوجهت إلىالله تعالى بالدعاء، فلم تمض مدة طويلة طويلة حتّى حملت.[1]وظنّت أن الجنين الذي هو في بطنها ذَكراً؛ ولذلك فقد نذرت ما في بطنها محرراً، وقد ذكر القرآن هذا النذر، قال جل شأنه: ﴿ **إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾، (آل عمران 35، 36).

" قصة النذر تكشف لنا عن قلب " امرأة عمران" – أم مريم – وما يعمره من إيمان، ومن توجه إلى ربها بأعز ما تملك. وهو الجنين الذي تحمله في بطنها. خالصاً لربها محرراً من كل قيد ومن كل شرك ومن كل حق لأحد غيرالله سبحانه. ... وهذا الدعاء الخاشع من امرأة عمران، بأن يتقبل ربها منها منها نذرها – وهو فلذة كبدها – ينم عن ذلك الإسلام الخالص لله، والتوجه إليه كلية، والتحرر من كل قيد، والتجرد إلا من ابتغاء قبوله ورضاه".[2]

وجزاء هذا الإخلاص والتجرد لله من الأم كان الاصطفاء وكانت البركات، من رب لطيف خبير يعلم ما تكن الأنفس وما تُخفي الصدور، وما يختلج في قلوب عباده المؤمنين، قَبلالله الدعاء ووقع الاصطفاء لمريم – عليها السلام – لتكون أماً لرسول الهداية لقومها، وأراد سبحانه أن تكون أمومتها موضع إعجاز ينبه به قلوب بني إسرائيل إلى مطلق قدرته، وطلاقة مشيئته في هذا الكون، وقد ركن القوم في حياتهم إلى الأسباب وغفلوا عن مسببها وخالقها، واستوجبت عظيم حكمته وسابغ فضله أن يرد عباده إلى الجادة وصراطه المستقيم، وأن يجري هذا الفضل على يدي آل عمران.

نشأت مريم بنت عمران – عليها السلام – في بيئة إيمانية، متفرغةً للعبادة برعاية نبيالله زكريا – – عليه السلام –، قال سبحانه وتعالى:﴿**فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾،(آل عمران37). وباكتمال النشأة الدينية والتربية

[1] – ينظر: حياة المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام من منظور إسلامي. ص13.
[2] – ينظر: في ظلال القرآن 392/1.

والتربية الإيمانية، تم الاصطفاء لمريم لتكون أماً فريدة لرسول الهداية لبني إسرائيل؛ قال جل شأنه: ﴿**وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**﴾،(آل عمران42)، المراد بالملائكة جبريل-عليه السلام-.

والخطاب لمريم – عليها السلام – يتضمن ثلاث بشارات، تمهد للمهمة التي ستنهض بها الصديقة مريم، وهي الاصطفاء والتطهير والاصطفاء على نساء العالمين، وفي هذا إعداد لها لمواجهة مجتمعها الحسي الشغوف بالمادة، والبارد روحانياً رغم تظاهره بالتدين والتمسك بالطقوس، "وإذا قال الله تعالى اصطفيت فلاناً ولم يقل إنه اصطفاه على أحد، فلا مانع من اصطفاء غيره. .... أما إذا قال: إنه إنه اصطفى فلاناً على فلان، فإن هذا الاصطفاء لا يشاركه فيه أحد أبداً ".[1] دل على ذلك قوله سبحانه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾، (آل عمران 33).

فمريم – عليها السلام – موضع اصطفاء لمرات ثلاث؛ اصطفاء شخصي، واصطفاء على نساء العالمين، تقدمهم اصطفاء لآل بيتها وهم آل عمران، وهو ما ورد بصريح النصين المتقدم ذكرهما، وفي هذا إشارة إلى عظم الابتلاء الذي ستتعرض له هذه الصدّيقة، وجسامة المهمة الملقاة على عاتقها اتجاه قومها.

ثم البشارة باسم الرسول وصفته؛ قال تعالى: ﴿**إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ**﴾، (آل عمران45)." بشارة من الملائكة لمريم عليها السلام بولد لها يكون وجوده بكلمةالله كن فيكون، اسمه المسيح عيسى ابن مريم،[2] "المسيح لقب لعيسى ومعناه الصديق وجيها..... أي شريفاً ذا جاه وقدر".[3]

إمعان النظر في ولادة مريم الصديقة لنبيالله عيسى – عليه السلام – المعجزة، يُفهم الناظر حقيقتها في ضوء السنن الإلهية الماضية في الكون والحياة، فـ"لقد جرت بسنةالله التي وضعها لامتداد الحياة بالتناسل من ذكر وأنثى في جميع الفصائل والأنواع بلا استثناء، حتى المخلوقات التي لا يوجد فيها فيها ذكر وأنثى متميزان تتجمع في الفرد الواحد منها خلايا التذكير والتأنيث ... جرت هذه السنة أحقاباً طويلة حتى استقر في تصور البشر أن هذه الطريقة الوحيدة، ونسوا ... [بداية] وجود الإنسان

1 – ينظر: مريم والمسيح، ص29.

2 – ينظر: تفسير ابن كثير 39/2.

3_ – quran.ksu.edu.sa/tafseer/Ibn katheer/sura2-aya1.html.page13.

لأنه خارج القياس. فأراد الله أن يضرب لهم مثل عيسى ابن مريم – عليه السلام – ليذكرهم بحرية القدرة القدرة وطلاقة الإرادة".[1]

كما أراد الله أن ينبه بني إسرائيل إلى تعلقهم بالمادة وأسبابها على حساب الروحانيات ودورها الجوهري في الحياة، فـ " قانون الماديات أسباب ومسببات، والحق سبحانه وتعالى أراد أن يخلع عن بني إسرائيل هذا الفكر المادي، فجاء بعيسى – عليه السلام – على غير طريق الناموس الذي يأتي عليه البشر، فجعله من امرأة دون أب"،[2] وهو الذي خلق آدم – عليه السلام – قبل هذا من غير أب ولا أم ، ولكن الزمن تطاول على القوم فنسوا ذلك رغم اعتقادهم أن الله له مطلق القدرة والإرادة.

ورداً لاختلاف بني إسرائيل في ميلاد عيسى – عليه السلام – المعجز؛ أي ولادته من دون أب، فقد انقسموا بين مُفرط مؤله له، ومفرِّط متهم لأمه الصديقة، قال تعالى: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾، (آل عمران59)، روى ابن عباس – رضي الله عنهما – سبب نزول هذه الآية "أن وفداً من [نصارى] نجران قالوا: لرسول الله ﷺ مالك تشتم صاحبنا؟ مالك تشتم صاحبنا؟ قال: وما أقول قالوا: تقول إنه عبد قال: أجل إنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى العذراء البتول فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنساناً قط من غير أب فإن كنت صادقاً فأرنا مثله فأنزل الله عز وجل هذه الآية".[3]

واستشكال القوم في فهم قوله سبحانه: ﴿**وروح منه**﴾، (النساء 171)، جوابه أن المعنى " خلق الله الحياة في عيسى – عليه السلام – بأمر صدر منه بغير واسطة النطفة الخارجة من بين الصلب والترائب والترائب كما أبدع الحياة والروح في السيد آدم عليه السلام من غير أب وأم، ....فلو لزم من جعل المولود المتولد من غير أب إلهاً للزم اتخاذ آدم لكونه ولد من غير أب وأم ..."،[4] ووفق هذا الفهم الخاطئ من القوم يكون لأم البشر حواء نصيب من الألوهية لكونها مخلوقة من غير أم.

قال تعالى: ﴿**وَآتَيْنا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ**﴾الآية،(البقرة253)، ذِكر هذين الوصفين في تأييد عيسى – عليه السلام – وإن كان سائر الرسل أيّدوا بالبينات وبروح القدس،

1 – ينظر: المسيح في القرآن الكريم 38.
2 – ينظر: مريم والمسيح، ص77.
3 – ينظر: أسباب النزول، ص89. وينظر: لباب النقول في أسباب النزول، ص64.
4 – ينظر: آيةالله في خلق السيد المسيح من روحه، ص62.

يتضمن رداً على بني إسرائيل المنكرين لرسالته والمغالين في ألوهيته،[1] "ولأجل هذا ذكر معه اسم أمه ...للتنبيه على أنّ ابن الإنسان لا يكون إلهاً، وعلى أنّ مريم أَمةالله لا صاحبة لأنّ العرب لا تذكر أسماء نسائها وإنما تُكني".[2]

"وبيّنات عيسى هي إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وخلق الطير من الطين كما نص عليه في التنزيل. ﴿وَأَيَّدْنَاهُ﴾ قوّيناه. ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ جبريل عليه السلام"،[3] قال جل شأنه: ﴿ **إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾**، (المائدة110).

إظهارالله المعجزات على يد عيسى – عليه السلام – تأييداً له وعلامةً على صدق نبوته للشاكين فيها والمترددين في إتباعه، وإقامة للحجة على المنكرين والكافرين بدعوته، وهذه سنة إلهية ماضية في حق أنبيائه ورسله، فقد اقتضت حكمته إجراء هذه المعجزات إظهاراً لصدق دعواهم، وإقامةً للحجة على مخالفيهم، هذا الطرح ليس غريباً على بني إسرائيل، ومنهم معاصري نبيالله عيسى – عليه السلام – وقد وردت نصوص في العهد الجديد تتفق مع الحقائق الواردة في القرآن الكريم بخصوص فهم معجزات هذا النبي، ومن هذه النصوص، ما ورد في إنجيل متى: "ولما دخل يسوع أورشليم ارتجت المدينة كلها قائلة: مَن هذا؟ فقالت الجموع: "هذا هو النبي يسوع من ناصرة الجليل"، 21: 10،11..

وفي إنجيل يوحنا سأل الفريسيون،[4]الأعمى عند شفائه من مرضه على يد عيسى– عليه السلام – : " ماذا تقول أنت عنه من حيث إنه فتح عينيك؟". فقال: "إنه نبي". 9:17، وأورد لوقا في إنجيله معجزة إحياء الميت، ورَدّ فعل الجموع عند معاينتهم عودة ابن الأرملة للحياة، لما رأى يسوع أرملة تبكي ابنها الوحيد الذي مات، " تحنّن عليها، وقال لها: لا تبكي!" ثم تقدم، ولمس النعش، فتوقف حاملوه، وقال: "أيها الشاب لك أقول: قم!" فجلس الميت، وبدأ يتكلم، فسلّمه إلى أمه، فاستولى

1 – ينظر: تفسير التحرير والتنوير 9/3.

2 – ينظر: المرجع نفسه، نفس الصفحة.

3 – ينظر: الجامع لأحكام القرآن 173/2.

4 – هم أحد الأحزاب الدينية السياسية، التي برزت في القرن الميلادي الأول في المجتمع اليهودي، يعود أصل التسمية إلى اللغة الآرامية، وتفيد الابتعاد والاعتزال عن الخاطئين، واتسموا بالتشدد، والحفاظ على السنن الشفهية. ينظر: قاموس الكتاب المقدس، ص674، 675.

الخوف على الجميع، ومجدوا الله قائلين: "قد قام فينا نبي عظيم وتفقدالله شعبه، وذاع هذا الخبر عنه في منطقة اليهودية كلها، وفي جميع النواحي المجاورة"،7: 13-17.

ما تقدم من أظهر الأدلة في العهد الجديد على بشرية عيسى – عليه السلام –، وأنه عبدالله ورسوله، فإنه بعد أن أحيا هذا الميت استطاع جميع الحاضرين أن يفرّقوا بينالله، وبين عيسى فمجدواالله الله سبحانه، وشهدوا لعيسى – عليه السلام – بالنبوة، وشكروالله إذ أرسل في بني إسرائيل نبياً،الله الذي الذي رحمهم وأرسل فيهم نبياً جديداً، وتأمل كيف أقر عيسى قولهم، وذاع الخبر، ولو كان عيسى هو الرب الإله – كما يزعم المتأخرون – لم يوافقهم على قولهم: "قد قام فينا نبي عظيم وتفقدالله شعبه" ولاستدرك على قولهم وصححه بقوله: " أنا لست نبياً، انظروا هكذا أحيي الموتى، فإني أنا الرب الإله أو أنا ابنالله"، فلا يؤخر البيان حين الحاجة إليه في الشريعة، ولا يتبع المشرع أهواء الناس واجتهاداتهم.[1]
واجتهاداتهم.[1]

وإن كانت المعجزات في الأصل لإقامة الحجة وإلزام الخصم، وإظهارالله لصدق رسوله، فإنها قد تأتي لتثبيت المؤمنين وتأييدهم وطمأنة قلوبهم، ومنها معجزة المائدة، قال تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ ۖ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾، (سورة المائدة112). وقد لامهم رسولهم وذكّرهم بتقوىالله، ثم رحمهم ورق لحالهم، ، ودعا ربه إجابة طلبهم، لتطمئن قلوبهم ويزدادوا إيماناً إلى إيمانهم، قالالله سبحانه قاصاً استجابة عيسى – عليه السلام – لحواريه: ﴿**قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ ۖ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾،(المائدة 114).

"والملاحظ أن دعاء المسيح علل المائدة بطريقة تخالف تعليل الحواريين فقد بدأ بشكر النعمة في قوله: "تكون لنا عيداً" فمعنى كونها عيداً أن يتخذ يومها مناسبة سرور بالإيمان، وشكراً للرحمن وثناء لله رب العالمين. ... ثم كان ختام تعليل المسيح قوله: " وارزقنا وأنت خير الرازقين" وهو نفس ما بدأ به الحواريون حين أرادوا الأكل منها،...".[2]

وقد تطرّف رجال الكنيسة في المعجزات التي أجراهاالله على يدي عيسى – عليه السلام – وبالغوا وبالغوا في تقديرها، واستدلوا بها على ألوهيته وبنوا على ذلك أوهاماً وطقوساً أضرت بالأصل التوحيدي، الذي جاء به المسيح وعاش ومات عليه حواريوه وتلاميذه وكافة أتباعه في فجر الدعوة

1 – ينظر: المسيح – عليه السلام – في العهد الجديد، ص100.
2– ينظر: المسيح ورسالته في القرآن، ص54، 55.

النصرانية، وانبثاقها الخالص الأول، ورد تلك التصورات والجواب على ما أخطأ فيه رجال الكنيسة يمكن أن يستعان فيه بنصوص أسفار كتابهم المقدس، فقد استدلوا "على ربوبية المسيح أنه أحيا الميت، وأبرأ الأكمه وطهَّر الأبرص ، ومشى على الماء وصعد السماء، وحوَّل الماء خمراً، وكثَّر الطعام القليل، وأقام الزمن،..."[1]

بالرغم مما ألحق القوم من تبديل وتصرف بأسفار كتابهم، إلا أن كثيراً من نصوصها تظهر فيها ومضات الأصل الإلهي، والتي حاولوا إخفاءها أو تأويل بعضها، قال تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا** ﴾الآية، (سورةالأنعام91) أو صرفها عن المراد منها وتطويعها لما استحدثوه من تصورات ورؤى يغلب عليها تحكيم تراثهم وفهمهم في النصوص.

فكل ما استدلوا به على ألوهية المسيح نص كتابهم على مثله في حق بعض أنبيائهم، كإحياء الموتى، فإن إلياس واليسع وحزقيال أحيوا بعض الموتى،[2] وكذلك فعل موسى- عليه السلام – مع العصا،[3] فحيّة موسى أعظم؛ فمن عصا تحولت إلى كائن يرى ويأكل ما شاءالله له أن يأكل، أما إبراء الأبرص، فقد فعله قبله نبيالله موسى[4] وكذلك اليسع[5]- عليهما السلام - ، وأما المشي على الماء فقد فقد مشى إلياس وتلميذه اليسع على نهر الأردن،[6] وكذلك فعل يوشع بن نون،[7] وتحويل الماء خمراً فقد حول إلياس واليسع الماء زيتاً،[8] وأما تكثير الطعام القليل، فقد دعا موسى ربه فأطعمالله بني إسرائيل المن والسلوى وهم يزيدون على الستمائة ألف[9]،[10]وقد علم رجال الكنيسة كل ما تقدم وأكثر في حق أنبيائهم ولم يرفعوا أياً منهم إلى مقام الألوهة، فما بالهم يكيلون بمكيالين ويستخدمون معايير غير

1- ينظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، 465/1.
2- ينظر: سفر الملوك الأول17: 17- 24، وينظر: سفر الملوك الثاني: 4: 18-37، 13: 20،21.
3 - ينظر: سفر الخروج 4: 2، 7: 9-12.
4 - ينظر: سفر العدد12: 1.
5 - ينظر: سفر الملوك الثاني الإصحاح 5.
6 - ينظر: سفر الملوك الثاني 3: 1- 8.
7 - ينظر: سفر يشوع الإصحاح 3.
8 - ينظر: الملوك الثاني 4: 1-7.
9 - ينظر: سفر الخروج الإصحاح 16.
10 - ينظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل 1/ 468، 470.

منضبطة، ودعاوى فاقدة لأي سند، لا يؤيدها صاحب مسكة من عقل؟!.

ومن المناسب بيان حقيقة لفظين وردا في أسفارهم وبنوا عليهما أوهاماً عديدة، وتعلقوا بهما لإثبات ألوهية عيسى – عليه السلام –، وهذان اللفظان وصف المسيح أنه ابن‌الله، ووصفه بالرب، فقد غلط القوم في فهمها، ما أوقعهم في أغلاط أخرى أضرت بعقيدتهم الأصلية وهي التوحيد، وحقيقة معنى المفردتين بعيد جداً عما ذهب إليه القوم. فالمعنى اللغوي للفظة (الربوبية) "يراد منها السيد المدبر الحاكم والمربي القائد الموجه، فرب الإبل ورب الدار؛ أي مالكها ومدبرها وحاكمها وسيدها، "ورب كل شيء: مالكه ومستحقه ، أو صاحبه ...،"[1] وهذا يصدق على المخلوق والخالق، ولا يعني الاشتراك في اللفظ تماثل المخلوق والخالق، فمعنى قول القائل: الرب يسوع، إنما المقصود به في لغة من ترجم الكتاب المقدس السيد الموصوف بالسيادة والقيادة لبني إسرائيل، ...".[2]

ولفظ الابن يُطلق على الولد الذكر، وذكره في حق الرب الإله الأعلى، فإنه من باب القياس الأوْلى لإدراك معنى الولاية الخاصة لأحباب‌الله وخاصته في الأنبياء والأولياء وعباد‌الله المقربين، ف. "البنوة "البنوة المعنية في الكتاب المقدس ليست مقصورة على شخص بعينه سواء كان نبياً، أو ولياً، أو فرداً مؤمناً، بل يراد بها ولاية العبودية والتأدب بمنهج‌الله وأحكامه الشرعية،...."[3].

يؤيد ما تقدم ثلاثة أمور: أولها: ما ورد في الذكر الحكيم، قال تعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ**﴾ الآية، (المائدة 18). وثانيها: ما يراه العلامة شارل جينيبير،[4] في دراسته التاريخ بدايات المسيحية والتأثيرات التي تركت أثراً عميقاً فيها، فهو يرى أن بولس الطرسوسي،[5] أخطأ في ترجمة وصف "عبد‌الله" من أصلها الآرامي إلى اليونانية "طفل‌الله" لقرب مدلول اللفظين في اليونانية، الذي الذي تطور إلى "ابن‌الله" وهذا مثّل الخطوة الأولى للقول بألوهية المسيح – عليه السلام –،[6] وثالثها: ميل ميل اللغات السامية ومنها الآرامية التي كُتبت بها الأسفار ابتداءً قبل ترجمتها، وهي كانت اللغة التي

1 – ينظر: مختار الصحاح، ص 243.
2 – ينظر: ثم شتان، ص 106.
3 – ينظر: المرجع نفسه، ص107.
4 – فرنسي مسيحي كاثوليكي، مؤرخ للمسيحية، وأستاذاً محاضراً في تاريخها في جامعة باريس . ينظر: المسيحية نشأتها وتطورها. ص5. ص5.
5 – يهودي فريسي متعصب ضد المسيحية، ولد لأبوين فريسيين بمدينة طرسوس، حوالي السنة 10 للميلاد، ثم تحول إلى رسول من رسل المسيحية وتنسب له رسائل تعد الأسفار الأولى للمسيحية .ينظر: سفر أعمال الرسل3:22. وينظر: قصة الحضارة 249/11.
6 – ينظر: المسيحية نشأتها وتطورها، ص51.

تكلمها المسيح – عليه السلام – ودعا بها، ميلها إلى التعبير المجازي وحرصها على تصوير المشاعر وخلجات النفس والاهتمام بالروحانيات، كما أن الأسفار تزخر بما يعكس نظرة بني إسرائيل لأنفسهم أنهم أبناءالله وأحباؤه وشعبه المختار، وكل ما تقدم يُفسر حقيقة الأمر لاستخدام لفظ الابن.

والنسب أو العلاقة بين بعض البشر وبين الآلهة كانت فكرة شائعة في الفكر الوثني في الشرق، وتظهر "في صورة أساطير دينية، حيث كانت أساطير آلهة اليونان والرومان تستخدم للتعبير عن إحساس بانتماء بعض عظمائهم لعرق أسمى وعالم آخر، فكان إطلاق ألقاب مثل "ابن زيوس"[1] أو "ابن هليوس"[2] هليوس"[2] على بعض العظماء إطلاقاً شائعاً جداً".[3]

1- زيوس:Zeus كبير آلهة اليونان، وإله السماء عندهم. ينظر: المسيحية وأساطير التجسد في الشرق الأدنى القديم اليونان سورية مصر، ص 51.

2- هليوس:Helios إله الشمس في الميثالوجيا الإغريقية. ينظر: المرجع نفسه. نفس الصفحة.

3- ينظر: المرجع السابق. ص15.

المبحث الثاني: موقف بني إسرائيل من عيسى ـ عليه السلام ـ ودعوته

يطوي القرآن العصر بين موسى وعيسى – عليهما السلام –، ويفردهما بالذكر باعتبار أن الأول جاء مؤسساً لدين القوم ومبيناً للشريعة، والثاني بُعث محيياً ومصححاً لما غلط فيه أحبار بني إسرائيل **وألحقوه بشريعة موسى – عليه السلام –، قال جل شأنه: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾، (البقرة 87)، قوله تعالى: وآتينا عيسى ابن مريم** البينات أي الحجج والدلالات، وهي التي ذكرهاالله في سورة آل عمران وسورة المائدة، وقال ابن عباس: عباس: أيدناه قويناه.[1]

ووَالَىالله النبوة في قوم موسى – عليه السلام – "حتى ختم أنبياء بني إسرائيل بعيسى ابن مريم، فجاء بمخالفة التوراة في بعض الأحكام، ولهذا أعطاهالله من البينات، وهي: المعجزات. قال ابن عباس: من إحياء الموتى، وخلقه من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيرا بإذنالله ، وإبرائه الأسقام ، وإخباره بالغيوب، وتأييده بروح القدس، وهو جبريل – عليه السلام – ما يدلهم على صدقه فيما جاءهم جاءهم به. فاشتد تكذيب بني إسرائيل له وحسدهم وعنادهم"،[2] وهذا ديدن القوم مع أنبيائهم، رغم ادعائهم أنهم أبناءالله وأحباؤه.

وقد كان علماء اليهود وأحبارهم من أشد الناس عداوة للمسيح – عليه السلام – خوفاً على مراكزهم ومصالحهم؛ وذلك لأن اليهود كانوا ينتظرون مسيحًا يعيد إليهم الملك والسلطان في الأرض،[3] فلما جاءهم المسيح عيسى ابن مريم يشيد بينهم مملكة الأخلاق والتقوى والسجايا الكريمة لم يكن هو المسيح الذي صوروه لأنفسهم، فمكروا به وأرادوا قتله.

وقد انقسم بنو إسرائيل تجاه دعوة نبيالله عيسى – عليه السلام – إلى طائفتين: الطائفة الأولى: كذَّبته، ووصمته بالسحر وأنه ابن زنا، وهم اليهود، وهو عندهم دعي دجال مجدف علىالله[4]

والطائفة الثانية: آمنت به، وهم النصارى، وانقسمت هذه الطائفة بعد رفعه – عليه السلام –،[5] على

1-quran.ksu.edu.sa/tafseer/qortobi/sura2-aya1.html.page13.

2- quran.ksu.edu.sa/tafseer/Ibn katheer/sura2-aya1.html.page13.

3- فسَّر علماء بني إسرائيل عدداً من نصوص العهد القديم أنها بشارة بمسيح يأتي من نسل نبيهم داوود – عليه السلام – ويعيد لهم مجدهم الديني والسياسي. ينظر: سفر التكوين49:10، وينظر: سفر العدد17:21، وينظر أيضاً: سفر إشعياء4:11.

4- ينظر: إنجيل متّى 26:63-68، 27:35، وينظر: إنجيل مرقس14:64، وينظر أيضاً: إنجيل لوقا 23:35-38.

5- ينظر: المسيح ابن مريم في القرآن الكريم، ورد افتراءات البابا بالنسبة للإسلام وعلى رسولهﷺ. ص 171.

طائفتين:

1-طائفة ثبتت على التوحيد، وإن شاب توحيد بعضهم بعض الخلل، ويمثل هذه الطائفة فرق عدة؛ أذكر منهم: الأبيونيون،[1] والسمسطائيون[2]، والآريسيون،[3]

2-طائفة ضلت وانقسمت على فرق شتى أهمها: ا-فرقة المرقونيون، وهم أتباع مرقيون أو مرسيون، وهو قسيس عاش في القرن الثاني، يعتقد بوجود إلهين: الأول الإله الخالق وهو إله بني إسرائيل، والثاني: إله الخير الذي ظهر متمثلاً في المسيح، ولا تعترف هذه الفرقة إلا بإنجيل لوقا ورسائل بولس وتجري الكثير من التغييرات في نصوصها.[4]

ب- فرقة زعمت أن المسيح هوالله.[5] قال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾، (النساء 172).

ج- فرقة زعمت أنه ثاني ثلاثة؛ وهم الآب،[6] والابن، والروح القدس، قال جل شأنه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾،(المائدة73).

وقال ﷻ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾، (النساء171). نزلت هذه الآية رداً من الله سبحانه على ادعاء طوائف النصارى أن المسيح -

---

[1] - هم أتباع (أبيون)، وهم معاصرون لبولس الطرسوسي، وعدوه مرتداً، وإنجيلهم مكتوب بالآرامية ومنسوب إلى (متّى)، ولم تعترف به الكنيسة. ينظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص124، وينظر: الهرطقة في الغرب. ص19-20.

[2] - هم أتباع الأسقف بولس السمساطي أو الشمشاطي، بطريرك كنيسة أنطاكيا 260م،الذي أنكر ألوهية المسيح وقرر أنه بشراً رسولاً. ينظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ،. ص124. وينظر: محاضرات في النصرانية، ص 151.

[3] - هم: أتباع آريوس(ت336م)، فيلسوف من أصل ليبي، أحدث زلزلة في الأوساط اللاهوتية، وهو يرى كل ماعدالله مخلوق ولا يشاركه في ذاته أي كائن، عادته الكنيسة وكفّره مجمع الإسكندرية وحُجبت كتبه، استمرت الآريوسية حتى القرن السابع. ينظر: *الموسوعة العربية الميسرة والموسعة* 373/1. وينظر: تطور الإنجيل، ص35.

[4] - ينظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص121.

[5] - الاعتقاد بأن المسيح هوالله الكلمة ، ورد في قرار المجمع المسكوني الرابع، المنعقد سنة 451م بمدينة خلقدونية. ينظر: مجموعة الشرع الكنسي أو قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة. ص255.

[6] - ينظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل 476/1.

عليه السلام – ابن لله، تعالىالله عن ذلك علواً كبيراً.[1] وتقرير بشرية عيسى– عليه السلام – وعبوديته لله لله تعالى، وقد كلّفه بهداية قومه، كل ذلك ثابت في نصوص العهد الجديد، وإنك لتعجب من إغفال القوم النصوص الدالة على ذلك، وإصرارهم إلى رفعه لمصاف الآلهة.

وعقيدة التثليث قررها المجمع المسكوني الثالث للكنائس المسيحية سنة 381م، المنعقد في مدينة القسطنطينية، فذاتالله بزعمهم مركبة من ثلاثة أقانيم (شخوص)، هيالله الآب والإله الابن الذي حل في في جسد المسيح – عليه السلام –، والروح القدس، الذي حملت منه مريم الصديقة – عليها السلام –، وهو مَن أَلْهَمَ كتبة الأسفار المسيحية ما كتبوا، وهذا ما يفهم من نص قانون الإيمان عندهم:(الناطق بالأنبياء)، [2] والمراد هنا الروح القدس.

د– فرقة زعمت أن عيسى وأمه – عليهما السلام – إلهين من دونالله. قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ**﴾،(سورة المائدة116). هذه الآية " بقية في تصحيح العقيدة: وتقويم ما دخل عليها عند النصارى من انحرافات أخرجتها من أصلها السماوي .... من التوحيد المطلق الذي جاء به عيسى – عليه السلام – كما جاء به كل رسول قبله، إلى ألوان من الشرك، لا علاقة لها بدينالله".[3]

نص المسيح – عليه السلام – في تعاليمه الثابتة في الأسفار على وحدانيةالله، دون ذكر للتثليث، أو حلول الإله الابن في شخصه، فيه دليل كافٍ يرد كل ما أضافه رجال الكنيسة في عصور لاحقة لعقيدة الألوهية عندهم،[4]ولعل من المثير للعجب ما فعله رجال الكنيسة، وكتبة الأسفار فهم من أشرفوا أو باشروا الكتابة للنصوص التوحيدية، ثم أضافوا إليها نصوصاً أخرى تشير إلى التثليث وألوهية المسيح ليتولوا فيما بعد التفصيل والتقرير لما أضافوا في مجامعهم وتراثهم الكنسي، ولم يلتفتوا إلى أن ما ذهبوا إليه مناقض لأصل عقيدتهم وهو التوحيد، مما جعل الكنيسة تعاني من الاختلاف والجدل لفترة امتدت لقرون، وكان أثره وبالاً على الكنيسة والملة المسيحية.

خلاف القوم حول المسيح – عليه السلام – استمر وتفاقم عبر تاريخ المسيحية، وقد بدأ وهو بين أظهرهم ومستمر إلى يومنا هذا، وقد انقسم بنو إسرائيل إلى فرق شتى في موقفهم من دعوته، وانقسم اتباعه من بعده إلى مذاهب وانقسموا إلى كنائس؛ الكنيسة الكاثوليكية، والكنيسة

[1] – ينظر: أسباب النزول، ص152.
[2] – ينظر: رسالة بطرس الثانية1:21، وينظر: مجموعة الشرع الكنسي. ص 245، 246.
[3] – ينظر: المسيح في القرآن الكريم، ص 209.
[4] – ينظر: إظهار الحق. ص273، 274.

الأرثوذكسية2 ثم الكنيسة البروتستانتية في القرن السادس عشر الميلادي، وقد انقسمت بعضها إلى مذاهب داخل الكنيسة الواحدة، وموضوع خلافهم قد يكون عقدياً وقد يكون في أمور الديانة المسيحية، المسيحية، ومنه اختلاف الاعتقاد بين الكنسية الكاثوليكية والأرثوذكسية في انبثاق الروح القدس عن الإله الآب فقط كما يعتقد الأرثوذكس، أو عن الآب والابن معاً حسب اعتقاد الكاثوليك،[1] ورد الكنيسة البروتستانتية (للتقليد الكنسي)[2] ونفي القداسة عنه.[3]

ووبخ الله سبحانه وتعالى بني إسرائيل لجحودهم ونكرانهم فضل الله عليهم، ولعن كفّارهم، قال تعالى: ﴿ **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ**﴾، (سورة المائدة78). وقد مَن الله عليهم بدعاة الهداية، ومنهم يوشع وإلياس وداوود – عليهم السلام –، "ثم جاء عيسى مؤيداً وناسخاً ومبشراً فكانت مقابلتهم لأولئك كلهم بالإعراض والاستكبار وسوء الصنيع، وتلك أمارة على أنهم إنما يعرضون عن الحق لأجل مخالفة الحق أهوائهم وإلا فكيف لم يجدوا في خلال هاته العصور ومن بين تلك المشارب ما يوافق الحق ويتمحض للنصح".[4]

"صرح القرآن الكريم في أكثر من موضع بأن عيسى عليه السلام "مقفّى" قفّى الله به على الأنبياء الأنبياء السابقين وبعثه بعدهم، وهو آخر أنبياء بني إسرائيل"،[5] قال تعالى: ﴿**وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ**﴾ الآية، (الحديد27). وقد تضمنت دعوته مخالفة التوراة في بعض الأحكام، ولهذا أيده الله سبحانه بالحجج والدلائل القاطعات على صدق دعوته، ومع هذا كذّبه بنو إسرائيل حسداً وعناداً.[6]

وعناداً.[6]

قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا**﴾، (النساء163). المتأمل في هذه الآية يتبين أن ذكر عيسى – عليه السلام – جاء في سياق البيان

---

1 – نص قانون الإيمان النيقاوي عند كل منهم. ينظر: مجموعة الشرع الكنسي، ص245،246.

2 – التقليد الكنسي: العقائد والممارسات التي تسلمتها الكنيسة من الأجيال السالفة، والكنائس تختلف في اعتبارها لمكانة التقليد، فالكنيسة الأرثوذكسية تعتبره شيء مهم و مركزي، في حين يراه البروتستانت غير ذلك. ينظر: تاريخ الفكر المسيحي، ص357.

3 – ينظر: المرجع السابق، ص 355.

4 –ينظر: تفسير التحرير والتنوير1/592.

5 – ينظر: المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام الحقيقة الكاملة، 165.

6 –ينظر: تفسير ابن كثير.1/ 213، 540.

الإلهي لوحدة الدين، وأن الحكمة الإلهية اقتضت تتابع الوحي وتتالي الرسل لهداية الخلق وإرشادهم إلى الدين الحق.

وقال جل شأنه:﴿**وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ**﴾، (المائدة46)، في هذه الآية يبين‌الله لبني إسرائيل وحدة الدين وتتابع الرسالات، كما يبين لهم علاقة دعوة عيسى – عليه السلام – بالتوراة المنزلة على نبي‌الله موسى – عليه السلام –.

"فقد آتى‌الله عيسى ابن مريم الإنجيل، ليكون منهج حياة، وشريعة حكم .. ولم يتضمن الإنجيل في ذاته تشريعاً إلا تعديلات طفيفة في شريعة التوراة. وقد جاء مصدقاً لما بين يديه من التوراة...."[1]، وذكر هذا في القرآن إقامة للحجة على بني إسرائيل زمن نبينامحمد –ﷺ–، ومن تقدم منهم وردت الحجة تقدم منهم وردت الحجة عليهم في التوراة والإنجيل،والله خالقهم عالم بعنادهم وكفرهم وحالهم مع أنبيائهم فوبخهم واستنكر ما هم عليه من الكفر والجحود، قال‌ﷻ: ﴿**أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ**﴾ الآية، (البقرة 87).

ومازال هذا موقف اليهود من المسيح عيسى – عليه السلام – إلى عصرنا هذا، وهو ما يصرح به إبيجدور شنآن[2] بقوله: "كما أن ليس المسيح بالنسبة لهم؛ فملكوت السماء – لأي أيام المسيح – لم يحن بعد. ولا يعتبره اليهود نبياً إذ ينقصه الإنجاز السياسي وتعزية الشعب بالمفهوم السياسي القومي. كما كما أنه ليس مشرعاً لشعب إسرائيل ولا صاحب ديانة جديدة – ولم يكن هو نفسه راغب في ذلك".[3]

قال تعالى:﴿**ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ**﴾،(الحديد27)، وبرسالة عيسى – عليه السلام – ختم‌الله الرسالات المنزلة على بني إسرائيل، واستوجبت الحكمة الإلهية أن تكون الرسالة الخاتمة من نصيب أبناء عمومتهم العرب، لتقصيرهم وتفريطهم في حمل مشعل الهداية للناس أجمعين، وإهمالهم لما استحفظهم‌الله عليه من كتب وشرائع.

[1] – ينظر: في ظلال القرآن 900/2.

[2] – الكاتب أستاذ بالجامعة العبرية في القدس. ينظر: ذلك الرجل ماذا يقول اليهود عن المسيح عيسى ابن مريم؟، ص5.

[3] – ينظر: المرجع السابق .ص218، 219.

المبحث الثالث: موقف المسلمين من الرسول عيسى ـ عليه السلام ـ

اعتقادنا في المسيح عيسى ابن مريم – عليه السلام – هو ما دل عليه كتاب‌الله وسنة رسولنامُحَمَّد – مُحَمَّد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم –، نؤمن بأن عيسى – عليه السلام – عبد من عباد‌الله، ورسول من رسله الكرام،[1] أرسله‌الله تعالى إلى بني إسرائيل يدعوهم إلى توحيد‌الله تعالى وعبادته، قال‌الله تعالى: ﴿**وَإِذْ** تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرائيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ** ﴾،(الصف6)، وقال جل شأنه: ﴿**وقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرائيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ**﴾،(المائدة 74).

وقد أمر‌الله أمة الإسلام بالتصديق برسل‌الله جميعاً؛[2] أي الاعتقاد الجازم بكونهم جميعاً دعاة إلى‌الله الله أرسلهم لهداية الناس ، ودعوتهم إلى ما فيه صلاح حالهم والفوز في مآلهم قال سبحانه تعالى ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾،(البقرة136).

ويقوم التصور الاعتقادي الإسلامي على وحدانية‌الله ووحدة الدين، أي: وحدة المصدر الإلهي ووحدة العقيدة، وأن رسل‌الله وأنبياءه جميعهم يدعون بدعوة واحدة، وهي توحيد‌الله والإسلام إليه، وإن اقتضت الحكمة الإلهية تعدد الشرائع، قال الحكيم الخبير: ﴿**وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾،(البقرة 132).

وقد بنَى المسلمون اعتقادهم المتقدم على نصوص قرآنية صريحة خاطبتهم بهذا المعنى، ومنها قوله تعالى: ﴿**قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾، سورة آل عمران84. وقال جل شأنه: ﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ**﴾، (الشورى 13).

[1] – ينظر: المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام الحقيقة الكاملة، ص165.

[2] – ينظر: شرح العقيدة الطحاوية. ص267.

فالمسلمون يعتقدون أن عيسى – عليه السلام – عبدالله ورسوله بَعثهالله لهداية بني إسرائيل، إثر تطاول الأمد عليهم وتحريف أحبارهم ورهبانهم لتوراة نبيالله موسى – عليه السلام – وتمسكهم الشكلي بطقوس دينهم وضعف روحانية الإيمان عندهم، وأكل أحبارهم بدينهم وتنافسهم الدنيا والرئاسة الدينية، فاستوجبت الحكمة الإلهية إرسال رسول يردهم إلى الجادة ويعيدهم إلى الدين الحق ونهج الشريعة الموسوية، ، ويرد الصبغة الروحانية الإيمانية لدينهم، ولعل هذا ما أثار حاخامات وأحبار القوم ضده، فقد كذّبوه ووصموه بالتجديف وحاولوا قتله، وهو – عليه السلام – عند المسلمين من أولي العزم من الرسل، للعنت والجحود الذي لاقاه من بني إسرائيل، ولصبره على أذاهم، وتحمله تبعات تبليغ دعوته، التي لم تدم طويلاً، فالمشهور عند بعض أهل العلم أنه بُعث في الثلاثين ورُفع في الثالثة والثلاثين.

ونبيالله عيسى – عليه السلام – عده كثير من العلماء من أولي العزم من الرسل – عليهم السلام – جميعاً، قال تعالى: ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ**﴾، الآية، (الأحقاف35)، "وهذه الآية اقتضت أنمحمدﷺمن أولي العزم لأن تشبيه الصبر الذي أمر به بصبر أولي العزم من الرسل يقتضي أنه العزم من الرسل يقتضي أنه مثلهم لأنه ممتثل أمر ربه، فصبره مثيل لصبرهم، ومَن صَبَرَ صبرهم كان لامحالة"،[1] وقال جل شأنه: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا**﴾،(الأحزاب7)، فكثير من العلماء يرون أن الرسل الخمسة المذكورون في هذه الآية هم أولوا العزم من الرسل – عليهم السلام –،[2] وقُدم نبينامحمدﷺبالإشارة بالإشارة إليه بقوله تعالى : "ومنك" ثم ذُكر الأربعة الأولون حسب ترتيبهم التأريخي، وظاهر أن أقربهم زماناً لرسولنا عيسى – عليهما السلام – إضافة إلى أنهما يجتمعان في الدعوة إلىالله، وكونهما من أولي أولي العزم من الرسل.

كما يجمع بين المسيح عيسى ونبينا – عليهما السلام – أنه بشر به،[3]قالالله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ** ﴾، (الصف 6).

وقد جاءت البشارات بالدعوة الخاتمة، والرسالة الخالدة في كتب القوم، وهي ظاهرة لا تخطئها عين الباحث على الحق ذي البصيرة، وإن تصرف القوم في نصوص كتابهم في محاولة لإخفاء بشائر

1 – ينظر: تفسير التحرير والتنوير 67/26.
2 – ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص281.
3 – ينظر: المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام الحقيقة الكاملة، ص272.

النبوة الخاتمة وزمانها ومكانها، إلا أن الحق غالب رغم أنوف المكابرين فقد ورد في أسفار الكتاب ما يدل دلالة واضحة على نبوة سيد الخلقﷺ محمد بن عبدالله ففي سفر التثنية جاء ما نصه: " أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ نصه: " أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَجْعَلُ كَلاَمِي فِي فَمِهِ، فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ 18: 18، والخطاب من الله لنبيه موسى – عليه السلام – ومحل الاستدلال، قوله تعالى : "نبياً من وسط إخوتهم" ومعلوم أن جد نبينا محمدﷺ إسماعيل – عليه السلام –، وأن إسحاق – عليه السلام – هو – عليه السلام – هو جد القوم ووالد يعقوب (إسرائيل) – عليه السلام –، كما ورد في نفس السفر ما نصه: "جَاءَ الرَّبُّ مِنْ سِينَاءَ، وَأَشْرَقَ لَهُمْ مِنْ سَعِيرَ، وَتَلأْلأَ مِنْ جَبَلِ فَارَانَ، وَأَتَى مِنْ رِبْوَاتِ وَعَنْ يَمِينِهِ نَارُ شَرِيعَةٍ لَهُمْ"، أخاه 33: 2.

وجبال فاران في العهد القديم موضع سكنى إسماعيل – عليه السلام – ، ورد في سفر التكوين: "وكان الله مع الغلام وسكن في البرية، وكان ينمو رامي قوس، وسكن برية فاران، وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر" 21:21، 20.، تعلق الترجمة اليسوعية للكتاب المقدس (الكاثوليكية) في مفاجأة قد تصدم النصراني ما نصه: "أحفاد إسماعيل هم عرب الصحراء وحياتهم حياة الترحال والاستقلال. وهذا ما يذكرنا بالعصر الجاهلي وشعره" هامش91 الطبعة السادسة.

كما وردت البشارات في العهد الجديد، فقد ورد في إنجيل متّى : أن المسيح – عليه السلام – قال: "الحق الحق أقول لكم: لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان، ولكن الأصغر في ملكوت السماوات أعظم منه... لأن جميع الأنبياء والناموس إلى يوحنا تنبؤوا، وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي، من له أذنان للسمع فليسمع"،11:11، 12،والإشارة إلىﷺ محمد في قوله: "ولكن الأصغر في ملكوت السماوات"، كما ورد في إنجيل يوحنا ما نصه: "وأما متى جاء ذاك، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمور آتية" 16: 13.

ورغم المماحكات اللفظية التي خاضها القوم في إنكار بشارة كتابهم بالنبي الختام عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، إلا أن ما يدحض إنكارهم أمران: أولهما: إيمان عدد لا يستهان به من أحبارهم وقسيسيهم ورهبناهم لما عرفوه من الحق في دعوة الإسلام وتطابقها مع ما ورد في كتابهم، وإن أخفى رجال دينهم على عامتهم نصوص البشارة، واطلع عليها بعض خاصتهم، وهذا السبب جعل من يدخل منهم الإسلام لا يرتد لما ثبت عندهم من اليقين، وظاهرة دخولهم الإسلام مستمرة من فجر

الإسلام إلى يومنا هذا، مع تطور العلوم وأساليب التحقق من المخطوطات. وثانيهما: أن المطّلع على كتاب القوم يمكنه بالدراسة المحايدة الوصول إلى التعرف على تلك البشارات بالنبيﷺ.

وسلم .

ولعل من المناسب الإشارة إلى المناظرة التي أجراها منذر السقار مع المدعو رشيد حمامي، وكانت بعنوان: "هل بشر الكتاب المقدس بمحمدﷺ؟"[1]، وقد أفحم السقار مناظره واستدل بعدد من النصوص بعدد من النصوص على البشارة، وبيّن أخطاء بعض المترجمين وتصرفهم في ترجمة النصوص المتضمنة للبشارة، بقصد وبدونه، " كما أنه ثابت من الروايات التاريخية أن اليهود كانوا ينتظرون مبعث نبي قد أظلهم زمانه، ..... وكانوا يريدونه منهم. فلما شاءالله أن يكون من الفرع الآخر من ذرية إبراهيم، كرهوا هذا وحاربوه".[2]

وقد ورد في السنة النبوية ما يؤيد وحدة الدين ويبين الموقف من رسولالله عيسى– عليه السلام–، السلام–، روى عبد الرحمن بن أبي عَمرة عن أبي هريرة قال: قال رسولﷺ: –أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ قالوا: كيفَ؟ يا رَسُولَاللهِ، قالَ: الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لعَلّات،[3] لعَلّات،[3] وَأُمَّهَا تُـهُمْ شَتَّى، وَدِيـ نُـهُمْ وَاحِدٌ، فليسَ بـ يْـ نَـنَا نَبِيٌّ".[4]

واليهود من بني إسرائيل "لا يعترفون للمسيح عليه السلام بالنبوة ويقولون على مريم بهتاناً عظيما، عظيما، ولما جاءهم بالرسالة وظهرت على يديه المعجزات اتهموه بالسحر، وناصبوه العداء وتآمروا على قتله وصلبه، وسول لهم الشيطان أن يوقعوا الصلب والقتل، ويتباهوا بذلك كبراً وعدواناً، وخدعوا بتلك الجريمة أزماناً، ثم كانت المفاجأة التي أعلنها القرآن فأذهلت اليهود والنصارى معاً".[5]

المسيح – عليه السلام – ونهاية مهمته في بني إسرائيل، حسب التصور الإسلامي كانت رفعالله لنبيه وإنقاذه مما تآمر القوم عليه لقتله،[6] قال تعالى: ﴿**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ**

1 – د. منقذ محمود السقار داعية سوري مختص في مقارنة الأديان، ولد بحماة سنة1967م، درس المرحلة الجامعية وما بعدها في جامعة أم القرى، له مؤلفات عدة منها "هل بشر الكتاب المقدس بمحمد؟" و" هل العهد القديم كلمةالله"، ينظر: منقذ السقار، محرر الموسوعة، ويكيبيديا 5-6-2023م. المناظرة متاحة كاملةً على (اليوتيوب).

2 – ينظر: المسيح في القرآن الكريم، ص232.

3 – "بنو علات: بنو أمّهات شتى من رجل واحد". ينظر: مختار الصحاح، ص435.

4 – رواه البخاري، كتاب الأنبياء حديث رقم3443، ص612.

5 – ينظر: المسيح ورسالته في القرآن، ص57.

6 – ينظر: المسيح ابن مريم عليه السلام الحقيقة الكاملة، ص319.

اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾، (النساء 156-157).

وقد اختلف المسيحيون الأوائل في حادثة صلب المسيح – عليه السلام –، والتي بنى عليها بولس[1] وبعض رجال الكنيسة عقيدة الخلاص والفداء، كما رفض أولئك الأوائل نظرية الصلب، باعتبار موت المسيح – عليه السلام – تكفيراً عن أخطاء الآخرين،[2] وهو ما يصادم صريح ما نصت عليه أسفارهم.[3]

" يشير أودلف هرنك[4] إلى حقيقة خلو بعض الرسائل المسيحية الهامة من أي ذكر للصلب ونظرية الفداء والكفارة، فيقول: "لا يوجد في أي مكان من تعاليم الاثنى عشر، أي ذكر للخلاص الذي يقدمه المسيح، ...."."[5]

ويطرح آخر سؤالاً جوهرياً يمس العقيدة المسيحية المتعلقة بصلب المسيح وقيامته، والسؤال هو: "هل يمكننا إنقاذ المسيح من العقيدة التي تمَّ توريطه فيها منذ فترة طويلة؟![ويُعقب] في هذا الكتاب،[6] اقترحتُ بأنَّ السيد المسيح- بعد حصوله على بعض المساعدة من أصدقائه المقرَّبين، و بتواطئ من الحاكم الروماني بيلاطس البنطي- نجا من الصلب".[7]

يعتقد المسلمون بنزول المسيح – عليه السلام – في آخر الزمان ، وهو ما أشار إليه له القرآن، وصرحت به السنة، واشتملت عليه كتب العقيدة الإسلامية عند ذكر أشراط قيام الساعة أي علامتها،[8] وقد ورد ذكر النزول في العلامات الكبرى ليوم القيامة، ففي صحيح مسلم برواية النواس بن سمعان الأنصاري عن رسول اللهﷺ في إخباره عن نهاية فتنة الدجال، قال: قال: "فَبَيْنَما هو كَذلكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ المسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ المَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ"، "فَبَيْنَما هو كَذلكَ إِذْ

وقد بيّن الرسولﷺ الصفة التي سينزل بها عيسى، روى أبو هريرةرضي الله عنه قال: قال رسولالله ﷺ- :

1 – تقدمت ترجمته، ص 13.
2 – ينظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية. ص271 .
3 – ينظر: سفر التثنية 24: 16.
4 – غوستاف أودلف فون هرنك 1851م-1930م، لاهوتي ومؤرخ للمسيحية، تتبع تأثير الفلسفة الهلنستية على الكتابة المسيحية المبكرة. ينظر: غوستاف هرنك، محررو الموسوعة، وكيبيديا، 11_10_2023م .
5 – ينظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية. ص275 .
6 – الكتاب المقصود هو (صحف المسيح) لميشيل بيجنت.
7 – ينظر: صحف المسيح، ص271.
6 – ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، ص504. وينظر: العقيدة الإسلامية، ص125.
9 – (الموسوعة الحديثية).صحيح ابن ماجه .حديث رقم 3310.

عنه قال: قال رسول الله ﷺ – : " والذي نَفْسِي بيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابنُ مَرْيَمَ حَكَمًا بيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، ويَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، ويَفِيضَ المالُ حتَّى لا يَقْبَلَهُ أحَدٌ"،[1] "وقوله ﷺ: "حكماً" ، أي سينزل بهذه الشريعة [شريعة [شريعة الإسلام]، لا ينزل نبياً برسالة مستقلة وشريعة ناسخة، بل هو حاكم من حكام هذه الأمة والمقسط العادل،...."،[2] "ويحي من أمور شرعنا ما هجره الناس".[3]

كما " أن أثر نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان لن يكون محدوداً برسالته الأولى، لأن رسالته الأولى كانت في بني إسرائيل، أما بعد نزوله فسيكون أثره خارج هذه الحدود".[4] وتأسيساً على ما تقدم، فإن القول بنزول عيسى – عليه السلام – لا يتعارض مع ختم النبوة بمحمد نبينا ﷺ ، ولا عليه وسلم ، ولا يقدح في كون الإسلام الدين الخاتم والرسالة الخالدة، الصالحة لكل زمان ومكان.

1 – رواه البخاري. (الموسوعة الحديثية1) .2010م .كتاب الأنبياء حديث رقم 3448. ص612. صحيح مسلم. (بشرح النووي). كتاب الإيمان. باب نزول عيسى. حديث رقم: 242. 136/2.

2 – المصدر نفسه. 137/2.

3 – ينظر: نزول عيسى ابن مريم آخر الزمان، ص7.

4 – ينظر: المسيح وحقائق الحكمة الإلهية، ص20.

الخاتمة

أخلص مما تقدم عرضه ومناقشته وتقريره إلى النتائج والتوصيات الآتية:

– القرآن بيّن حقيقة عيسى– عليه السلام –، وأكد أنه بشراً رسولاً أرسلهالله إلى بني إسرائيل لهدايتهم ودعوتهم إلى الدين الحق.

– عالج القرآن ولادة المسيح — عليه السلام– وبسط حقيقة هذه الولادة، والبيئة الدينية والاجتماعية التي نشأ فيها، وأظهر الشخصية المركزية في حياته، وهي أمه الصدّيقة مريم بنت عمران، ودفع عنهما بهتان القوم وتخرُّصاتهم.

– رد القرآن الشبه المثارة حول شخص عيسى – عليه السلام — من المغالين فيه والطاعنين عليه، وأورد الأدلة القاطعة، التي تنصفه وتضعه في المكانة اللائقة به، بين صفوة خلقالله من الرسل والأنبياء.

– سرد القرآن حقيقة موقف بني إسرائيل، وانقسامهم ابتداءً إلى طائفتين مؤمنة مصدقةً به ،وأخرى مكذبةً محاربةً له، لتنقسما في مرحلة لاحقة إلى طوائف شتى.

– أكد النص القرآني على العلاقة الوثيقة بين نبيالله عيسى– عليه السلام – وأمة الإسلام وأمم التوحيد.

– حسم القرآن الإشكالات التي أُثيرت حول عدد من القضايا المتعلقة بشخص المسيح – عليه السلام – ودعوته، فقد بيّن نسبه وحقيقة أمره ودعوته لله تعالى وخاتمتها، وفرية صلبه، وإنقاذالله له ورفعه.

– شرح النص القرآني معجزة ميلاد عيسى – عليه السلام – وفند اللغط الذي أُثير حولها، وبين أن شأنه شأن آدم – عليه السلام – خُلق بكلمة كُن، وإن كان خُلق من غير أب، فقد خلقالله آدم من غير أب وأم، ولله مطلق القدرة في خلق ما يشاء.

– يوصي الباحث بضرورة دراسة العقائد السائدة في العالم، وأولها العقائد المسيحية، لما لهذه العقائد من أثر سلبي على المسلمين، وأولهم فئة الشباب، والرد على ما يروّج في الفضاءات المفتوحة.

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم: برواية حفص عن عاصم. جمعية الدعوة الإسلامية العالمية. طرابلس. ليبيا.
- أسباب النزول، علي بن أحمد النيسابوري، الطبعة6، 1414هـ1994م، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، علي عبد الواحد وافي، الطبعة2، 2001م،نهضة مصر، القاهرة، مصر.
- آية الله في خلق السيد المسيح من روحه، يوسف صبري، تحقيق: أبوبكر عبد الرزاق، 1977م، دار الاعتصام، القاهرة، مصر.
- تاريخ إسرائيل من واقع نصوص التوراة والأسفار وكتب ما بين العهدين، متى المسكين، الطبعة4، 1999م، دار مجلة مرقص، مصر، القاهرة.
- تخجيل من حرّف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الهاشمي، تحقيق: محمود عبد الرحمن قدح، الطبعة1، 1419هـ-1998م، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية.
- تطور الإنجيل، إينوك باول، ترجمة: أحمد ايبش، الطبعة1، 1424هـ2003م، دار قتيبة، بيروت، لبنان.
- تفسير ابن كثير، إسماعيل بن عمر ابن كثير، 1385هـ - 1966م، دار الأندلس، بيروت. لبنان.
- تفسير التحرير والتنوير. مُحَمَّد الطاهر ابن عاشور، 1984م، الدار التونسية للنشر، تونس.
- ثم شتان (دراسة في مقارنة الأديان)، محمود الرضواني،الطبعة2008،1م،مكتبة سلسبيل، القاهرة مصر.
- الجامع لأحكام القرآن، مُحَمَّد بن أحمد القرطبي،1988م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- حياة المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام من منظور إسلامي، حنان قرقوتي شعبان، الطبعة1. 1425هـ2004م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان..
- الديانة اليهودية وتاريخ اليهود وطأة 3000عامإسرائيل شاحاك، ترجمة: رضا سلمان، الطبعة9، 2007م، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان.
- شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، ضبط نصه: مُحَمَّد رياض، 2009م، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.
- شرح صحيح مسلم، يحي بن شرف النووي، 631-676هـ، 1432هـ2011م، الدار التوفيقية للتراث، القاهرة، مصر.
- صحيح البخاري،(الموسوعة الحديثية1)، مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري، اعتنى به: عزالدين ضلي، عماد الطيار، ياسر حسن، الطبعة1، 1431هـ 2010م، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان.
- العقيدة الإسلامية، الصادق الغرياني،الطبعة1، 2002م، الجامعة المفتوحة، طرابلس، ليبيا.
- في ظلال القرآن، سيد قطب، الطبعة39، 1432هـ2011م، دار الشروق، القاهرة، مصر.
- قاموس الكتاب المقدس، نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين. تحرير: بطرس عبد الملك وجون طمسن وإبراهيم مطر. الطبعة 14. 2005م. دار مكتبة العائلة. القاهرة. مصر
- كتاب المسيحيين المقدس. إصدار دار الكتاب المقدس في مصر. الإصدار الرابع. الطبعة7. 2011م.

- لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الطبعة1، 1420هـ1999م، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.
- مجموعة الشرع الكنسي أو قوانين الكنيسة المسيحية الجامعة، حنانيا إلياس كسّاب، الطبعة2،1998م، منشورات النور. بيروت لبنان..
- مريم والمسيح، مُحَمَّد متولي الشعراوي، إعداد: عبد القادر عطا، دار التراث الإسلامي، القاهرة ، مصر.
- المسيح ابن مريم في القرآن الكريم، ورد افتراءات البابا بالنسبة للإسلام وعلى رسول الله – ﷺ – مُحَمَّد رامز عبد الفتاح العزيزي. 2007م .المكتبة الوطنية. عمان. الأردن..
- المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام الحقيقة الكاملة، علي الصلابي، الطبعة2019،1م، مكتبة حسن العصرية، بيروت، لبنان.
- المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبدالوهاب، الطبعة2،1988 م، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر.
- المسيح وحقائق الحكمة الإلهية. رفاعي سرور. الطبعة1. 1428- 1429هـ. دار هادف، بيروت، لبنان.
- المسيح ورسالته في القرآن، مُحَمَّد سيد أحمد المسير. الطبعة1. 2014م. مكتبة الصفا. القاهرة. مصر.
- المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جينيبير، ترجمة: عبد الحليم محمود، الطبعة1، 2008م، دار المعارف، القاهرة. مصر.
- المسيحية وأساطير التجسد في الشرق الأدنى القديم اليونان سورية مصر، دانيل إي باسوك، ترجمة: سعد رستم، الطبعة3، 2014م، دار صفحات للنشر، دمشق، سورية.
- مقارنة الأديان، المسيحية ، أحمد شلبي، الطبعة7. 1983م، مكتبة النهضة المصرية، مصر، القاهرة.
- نزول عيسى ابن مريم آخر الزمان، جلال الدين السيوطي، تحقيق: سعد الدرعمي، دار ابن خلدون، إسكندرية، مصر.

شبكة المعلومات الدولية:

– موسوعة ويكيبيديا الحرة.
– المسيح في القرآن الكريم. أحمد طه، 1433هـ 2013م ، أمتي للنشر الالكتروني.
– مناظرة منقذ السقار لرشيد حمامي، بعنوان " شخصية المسيح في القرآن الكريم". متاحة على(اليوتيوب).
-quran.ksu.edu.sa/tafseer/qortobi/sura2-aya1.html.
-quran.ksu.edu.sa/tafseer/Ibn katheer/sura2-aya1.html.

الهلول علي محمد منصور مواليد 1960م مدينة غريان. ليبيا (T.READ@isl.misuratau.edu.ly)
متحصل على ليسانس في الآداب والتربية سنة 1986م، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية. كلية التربية جامعة طرابلس. ليبيا.
متحصل على الماجستير في الدراسات الإسلامية، سنة 2004م. كلية الآداب. جامعة الزاوية. ليبيا.
متحصل على الدكتوراه في أصول الدين سنة 2019م. الجامعة الوطنية الماليزية.
حاليا أستاذ مساعد وعضو هيئة التدريس بكلية التربية بغريان. ليبيا.
له بحوث منشورة في مجلات محكمة عدة منها: مجلة جامعة غريان، ومجلة الجامعة الأسمرية، ومجلة كلية الدعوة الإسلامية، ومجلة كلية الدراسات الإسلامية بالجامعة الوطنية الماليزية.